المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة

تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة - دار الشؤون الثقافية العامة

المجلد الرابع والثلاثون

العدد الثاني - ٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ

رئيس مجلس الإدارة
د. عامر حسن فياض

رئيس التحرير
د. محمد حسين الأعرجي

الهيئة الاستشارية
د. نجاة الحديثي
د. عماد مطر الموسوي
ا. يوسف كريم الركابي
أ.د. نوري جعفر سلوم
خالد المطلبي
الاستاذ حسن عربي

هيأة التحرير
نائب رئيس التحرير
احمد عبد زيدان

سكرتير التحرير
محمود الظاهر

التصحيح اللغوي:
سليم سلمان
نجلة محمد
امل عبد الله

الإشراف الفني والتصميم
جنان عدنان لطيف
ياسر بدر ياسم

الأسعار

العراق: ٥٠٠ دينار، الأردن: ديناران، الإمارات: ٢٠ درهماً، اليمن: ٣٠ ريالاً، مصر: ٣ جنيهات، ليبيا: ٣ دنانير، الجزائر: ٦٠ ديناراً، تونس: ديناران، المغرب: ٣٠ رهماً.

عنوان المراسلة

دار الشؤون الثقافية العامة - الأعظمية - ص.ب: ٤٠٣٢ بغداد جمهورية العراق
هاتف: ٤٤٣٦٠٤٤

المشاركة السنوية

٥٥ دولاراً في الأقطار العربية.

لوحة الغلاف/ رافع الناصري

Email: dar-iraqculture@yahoo.com

المحتويات

* كلمة رئيس التحرير ٣ ـ ٤

* [illegible] ..... أسماء حسن الأعظمي ٥ ـ ٢٢

* [illegible] ..... [illegible] محمد الحسن ٢٣ ـ ٣٢

* [illegible]

في الفرزدق [illegible] ..... د. طارق نافع الحمداني ٣٣ ـ ٤١

* [illegible] ..... د. وليد عبد المجيد ابراهيم ٤٢ ـ ٤٦

* [illegible] ..... عاطفة التكريتي ٤٧ ـ ٦٩

* [illegible]

الاختلاف والمائل في الدوابيت ..... د. محمد جواد محمد سعيد ٧٠ ـ ٨٢

[illegible]

ديوان أبي الفرج الببغاء

النسخة الكاملة / القسم الخامس ..... شاكر العاشور ٨٣ ـ ١١٨

[illegible]

للعلامة الدكتور مازن المبارك

[illegible] ..... عبد العزيز ابراهيم ١١٩ ـ ١٤٢

[illegible]

معجم الشعراء المخضرمين

اعداد / د. عويض عبد الرحمن ..... نقد / مهدي عبد الحسين النجم ١٤٣ ـ ١٤٧

اخبار التراث العربي

اخبار التراث العربي ..... اعداد / حسن عربي الخالدي ١٤٨ ـ ١٦٠

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ختم الفردوس... [ختم الإغراء]

أ.د. وسماء حسن الاغا

كلية الفنون الجميلة/ جامعة بغداد

قد تكون الدراسات الآثارية والتأريخية، غير وافية لحد الآن لتغطية كل ذلك التراث الروحي والثقافي الغني لحضارة وادي الرافدين وخصوصا في مراحل تطورها الأولى، غير أن ما أمكن إحياؤه وجمعه ودراسته ليس بالقليل، فقد اصبح بوسعنا الآن أن نتتبع المنابع الأولى والأصل لأهم المآثر الأدبية والفكرية والدينية المعروفة التي تمتد جذورها عميقا في التاريخ البعيد. ولا بد أن نلفت النظر إلى ما قدمته تلك المآثر من أحداث ارتبطت بتاريخ الإنسان وبداية الخليقة والتي تركزت حول نشوء الحياة والجنة وخلق الإنسان، والتي تطورت بعد ذلك إلى القصة الدينية المعروفة، وكانت تلك الأحداث تظهر بوضوح احيانا أو بشكل غامض فيه الكثير من التورية احيانا أخرى. وقد تأثرت الأعمال الفنية الجدارية والأختام الأسطوانية بذلك كثيرا. غير أن ما يهمنا هنا ما جاء في الختم المعروف (بختم الإغراء)* الذي يقدم صورة (تشكيلية) واضحة المعالم وبتركيز شديد لقصة الفردوس – وهذا ما سوف أتحدث عنه – والذي عناصره من رجل وامرأة وأفعى، ويمكن على اساسه متابعة المنابع الأولى ودراستها بشكل مفصل وعدها أحد الركائز الأساس لتلك القصة.

وقد اختلف الباحثون في ما يمثله هذا الختم!، فقد ذكر (اندريه بارو)[1] حين عثر عليه بالرغم من أنه – حسب رأيه (لا يتعلق قطعا)[2] بالحدث والمشهد الديني المعروف عن قصة (آدم وحواء)، غير أنه من جهة أخرى يعترف بأن الختم (ينقل بصورة وافية جو الفردوس)[3].. كما وردت في سفر التكوين والديانات السماوية الأخرى، ومع ذلك فهو ينكر أن ينقل الختم صورة الرجل الأول والمرأة الأولى (آدم وحواء)، ويعتقد أن ذلك جاء بمحض الصدفة فقد يعبر فحسب عن المفهوم العراقي القديم للعالم البدائي منذ الالف الثالث قبل الميلاد.[4]

بينما نجد أن الدكتور (أحمد سوسة) قد قدم دراسة مقتضبة عن (ختم الإغراء) وقصة الفردوس كما جاءت بها النقوش السومرية مع ما يقابلها من القصة ذاتها كما وردت في سفر التكوين (التوراة)[5].. وبذلك نجده يؤكد أن هذا الختم يمثل قصة آدم أيضا، غير أن دراسته جاءت غير وافية لتثبيت فكرة (ختم الإغراء) بالرغم من أنه يشير كثيراً الى الأساطير التي تمثل المفهوم الديني

السومري عن الجنة وما يشبه ذلك في المدونات التوراتية.[6]

وبهذا فإننا نحصل على رأيين متناقضين الأول (لأندريه بارو) إذ يقول: إن الختم جاء تمثيله القصة بمحض الصدفة.. بينما يقول الرأي الثاني (لأحمد سوسة) وغيره من الباحثين: إن الختم يمثل القصة تماماً.

وقبل أن أتطرق الى مناقشة هذه الآراء، أو أن أذكر أولا العلاقة بين بعض الأساطير والملاحم والقصص التي تشير الى بدء الخليقة ومفهومها عند الإنسان السومري وبالتالي تصويرها تشكيليا في ختم الإغراء بشكل خاص أو في غيرها بشكل عام، ومن ثم سأتحدث عن الختم من وجهة نظر آثارية وتاريخية من جهة، ونقدية من جهة أخرى.

المبحث الاول

الأساطير الأولى عن مفهوم الفردوس

وصلت إلينا اساطير كثيرة تتحدث عن الخليقة بشكلها الأسطوري، والتي تُظهر المفهوم الفكري والعقائدي الديني للإنسان السومري لبداية ظهور الإنسان على الأرض وكيفية خلقه، والذي جاء بحسب المعتقدات السومرية والبابلية متأخراً، أي بعد عملية خلق السماء والأرض والأنهار وكل شيء، وأنه خلق ليكون في خدمة الآلهة.. أي أنه جاء لظروف معينة.. وهو خارج حدود الأسس الخاصة بالعالم.. وبرغم أن الإنسان خلق بشكل الآلهة لكنه يفترق عنها كليا فهو قد خلق من طين ممزوج من أحد الآلهة الذبيحة وهو غير خالد والموت من نصيبه[7] واقدم الأساطير التي تتحدث عن عملية الخلق واسبابه هي أسطورة **(المعول)، فبعد** أن فصل (أنليل) إله الهواء السماء **عن الارض:ـ**

((عمل على أن يظهر الإنسان الأول
فحفر شقاً في الأرض في منطقة (دورآنكي)
ثم خلق المعول.. وعندها انتهى النهار
ثم قرر واجبات العمل وقرر المصير))

وتستطرد الأسطورة:

((ووضع بدايات البشرية في الشق
وعندما بدأ البشر يظهرون مثل العشب في الأرض
كان الإله أنليل ينظر بارتياح إلى شعبه السومري.))[8]

أما أسطورة (أنكي وننماخ) فتظهر بأن خالق الإنسان هو أنكي إله الماء وليس أنليل: فبعد أن بكت الإلهة الصغيرة من عناء العمل طلبت الإلهة الأم (نمو) بديلا عنها للعمل وحمل السلال:ـ

((نهض الإله أنكي على كلمات والدته الإلهة نمو
ودخل القاعة المقدسة وأخذ يضرب فخذه وهو يفكر،
الحكيم، العليم، البصير، الذي يدرك كل شيء وكل فن.
جلب الأيدي وصاغ صدره (أي صدر الإنسان)
أنكي، الخالق، وصنع داخل مخلوقه شيئا من حكمته،
ونادى أمه الإلهة نمو (وقال لها):
أمي، المخلوق الذي اوجدته، إربطي به عمل الإلهة.
وبعد أن تخلطي الطين الذي تأخذينه من مياه الأبسو
عليك أن تصوغي الأعضاء وتكوني الإنسان
وعسى أن تساعدك في ذلك الإلهة ننماخ،
وبقية الآلهة الذين قمت أنت بإنجابهم،
عساهم أن يساعدوك عند العمل.
أمي! أقري مصير الإنسان. تجيب الإلهة ننماخ:

عسى أن يكون العمل مصيره)[٩]

ومن هذا نرى أن الثابت هو أن الإنسان قد خلقته الالهة للمساعدة والعمل.. وقد حددت ملامحه منذ اللحظات الأولى.. وكذلك طريقة خلقه ومادته، غير أن المختلف في عملية الخلق، هو أن أنليل بنفسه قام بها في شق من الأرض بينما تجد في الثانية بأن أنكي جاء بالأيدي وصنع الصدر، وبعده تولت الإلهة (نمو) إتمام بقية الأعضاء باستعمال الطين والماء، غير إننا نجد مصير الإنسان واحداً في كلتا الاسطورتين.. فقد خلق للعمل.

أما الفردوس فقد تفردت بالحديث عنها بعض الأساطير، ومن أهمها هي أسطورة أنكي ونخرساج التي تدور بعض حوادثها في (دلمون)[١٠]، أرض الخلود التي لا يعرف سكانها الألم والمرض والشيخوخة، وقد رعاها الإله أنكي فجلب إليها المياه العذبة.. وجعلها أرضاً جميلة مشرقة تزهو بالثمار والنباتات الجميلة المزهرة والمثمرة. وهذه بعض المقتبسات من الأسطورة مترجمة الى اللغة العربية يبدو فيها وصف غير مباشر لأرض الخلود (دلمون):

((في دلمون لا ينعق الغراب الأسود

((ولا يصيح طير الـ (أندو) ولا يصرخ،

((ولا يفترس الأسد،

((والذئب لا يفترس الحمل،

((ولم يعرفوا الكلب المتوحش الذي يفترس الجدي،

((ولم يعرفوا... الذي يفترس العله،

((ولم توجد إلا رماة،

((والطير في الأعالي...،

((والحمامة لاتحني رأسها

((وما من أرمد يتشكى ويقول (عيني مريضة)،

((ولا مصدوع يقول (في رأسي مرض الصداع)،

(وعجوز دلمون) لا تقول أنا عجوز)،

(ولا يقول الشيخ (أنا شيخ طاعن في السن)[١١]،..الخ

وتذكر الأسطورة كذلك أن الإلهة ننخرساج بعد أن ولدت (بدون ألم) ثلاثة أجيال من الآلهة الإناث، غرست في دلمون نباتات (ثمانية) حرّمت تناولها.. لكن هذه النباتات أثارت انتباه الإله أنكي.. فأمر خادمه إيسمد، بأن يجلب إليه من ثمر هذه النباتات، وفي غفلة من الإلهة ننخرساج ليأكلها الواحدة بعد الأخرى، كما يمكننا ملاحظة ذلك من النص الاتي:

((تطلع انكي في الأحراش والأهوار ونظر حواليه

((وقال لرسوله (إيسمد):

((لأقررن مصير نباتاتهم، وأعرف قلوبهم،

((فأرجوك أن تخبرني أي نبات هذا؟ وما هذا النبات أيضا؟))

((فأجابه رسوله (إسميد) وقال له (إنه نبات الشجر)(١)

((فقطعه له وأكله (أنكي)

((ثم قال له ياماليكي إن هذا النبات هو (نبات العسل)(٢)

(واقتطفه له فأكله،

((وقال له ياماليكي إن هذا هو نبات الطريق(؟)(٣)

((واقتطعه له وأكله،

((وقال له ياماليكي، إنه نبات (الشوك)(٤)

((وقطعه له فأكله،

((ثم قال له ياماليكي إن هذا نبات (الكبر) (٥)

((وقطعه له فأكله،

((وقال له ياماليكي إنه نبات الـــ... (٦)

((وقطعه له فأكله،

((وقال له ياماليكي إنه نبات (القاسيا)، (٧)

((وقطعه له فإكله،

((لقد قرر (أنكي) مصير هذه النباتات وعرف (سرها)؟

((ولما علمت (ننخرساج) لعنت اسم (انكي) وقال:

((لن انظر إليه بعين الحياة حتى حين وفاته))[١١]

لكن هذا الفعل أثار غضب ننخرساج، فلعنته بـلعنة الموت كما هو مبـــين في النص اعلاه ــ وهذا ادى إلى مرض أنكي بثمانية أعضاء من جسده، سببت له أوجاعا لا تحتمل.. لكن الألهة الأخرى طلبت من الإلهة ننخرساج إنقاذه، وبعد إن وافقت الإلهة على شـفائه، خلقـت له ثمانية إلاهات تتولى كل واحدة منهن شـفاء واحـد من أمراضه.. وكانت واحـدة من هذه الإلهات الثمانية هي (سيدة الضلع) التي تسمى باللغة السـومرية Nin – ti أي السيدة التي تحيي والتي خلقـت من ضلع أنكي[١٢].. أنظر النص الآتي:

((أجلسـت (ننخرسـاج) ((أنكي)) في حـضنها (عند عورتها).

ــ ((ما يؤلمك ياأخي أخي

ــ (إن ال.. هو الذي يؤلمني))،

ــ ((لقد عملت على ولادة الإله ((أبو)) من أجلك))،

ــ ((يا اخي ما علتك التي تؤلمك؟))،

ــ ((إن فكي هي التي تؤلمني))،

ــ ((لقد ولدت من أجلك الإلهه (نن ــ تلا)،

ــ ياأخي ما يوجعك؟))،

ــ ((إن سني هي التي توجعني))،

ــ ((لقد ولدت من أجلك الإلهة ((نن ــ سوتو))

ــ ((ياأخي ما يؤلمك؟))

ــ ((إنه فمي هو الذي يؤلمني))

ــ لقد ولدت من اجلك الإلهة ((نن ــ كاسي))،

ــ ((ياأخي ما يؤلمك؟))،

ــ ((إن... هو الذي يؤلمني))،

ــ ((لقد ولدت الإلهة (نازي)) من اجلك))،

ــ ((يا أخي ما يؤلمك؟))،

ــ ((إن ذراعي هي التي تؤلمني))،

ــ ((لقد ولدت من أجلك الإلهة (آزيموا))،

ــ ((يا أخي ما يؤلمك؟))،

ــ ((إن (ضلعي) هي التي تؤلمني))،

ــ ((لقد ولدت من أجلك الإلهة (نن ــ تي)) (أي ((سيدة الضلع او السيدة التي تُحيي))،

ــ ((ياأخي ما يؤلمك؟))،

ــ ((إنه الـــ ... هو الذي يؤلمني))،

ــ ((لقد ولدت من أجلك الإله (إين ــ شاج))[١٣]

وهناك قصص واساطير وملاحم كثيرة.. تشير بشكل أو بآخر إلى المفهوم والقصة ذاتهما.. ولا شك أن قسما من هذه الأساطير ــ التي قد تكون مطابقـة لما جاء في صورة ختم الإغراء ــ لم تصلنا، لأنها كانت من الأسرار الدينية التي يحتفظ بها الكهنة في المعابـد، لكن ما وصل إلينا يعطينا صورة واضحة تقريبا عن الفردوس. فهناك أسطورة بابلية تعرف بـــ[٠] Adapa التي نجد أن (الرقيم الأول من رقـمها الأربـعة يذكر أن هناك رجلاً يعيش في مدينة أريدو واسمه (أدبا).. وقد وهبه الإله (آيا) Ea.. الحكمة إذ جعله النموذج الأكمل للإنسـان، لكنه لم

يعطه الحياة الأبدية، فبذلك كان (أدبا) محبا للناس، يساعدهم على كل شيء.. وتتحدث الأسطورة فتقول: إن (ريح الجنوب) هبت عليه... بينما كان أدبا يصطاد السمك ــ فقلبت قاربه، وقد أثار هذا غضبه لذا امسك (أدبا) بجناح الريح الجنوبية وكسره، وأدى ذلك إلى أن تقف ريح الجنوب عن الهبوب وحين علم إله السماء (آنو) بذلك طلب إحضار (أدبا) للمثول أمامه على الحال، فخشي أدبا من عقوبة الإله (آنو).. لذا ذهب إلى إله الحكمة (آيا) ــ الذي له الفضل الكبير في إعطائه الحكمة كما قلت سابقا ــ فنصحه: بأنه عند مثوله امام إله السماء (آنو) سوف يقدم له (خبز الموت وماء الموت) فعليه أن لا يتناول منهما شيئا، أما إذا قدم إليه الإله (آنو) رداء وزيتا، فعليه أن يلبس الرداء ويدهن جسده بالزيت، وحذره بأن لا يخالف هذه النصيحة مهما كلفه الأمر. بعد ذلك صعد (أدبا) إلى السماء ومر بكل ما توقعه إله الحكمة (آيا).. فقد مر بالإلهين الحارسين للسماء (دموزي) و (كزيدا) اللذين رجوا إله السماء (آنو) بأن يعفو عن (أدبا) وأن يقدم له إله السماء جزاء لمشاعره نحوهما ــ دموزي وكزيدا ــ (ماء الحياة وخبز الحياة) فوافق آنو على التماس الإلهين الحارسين وأمر بما أرادا. ولكن ما حدث يمكن أن ندرجه في النص الاتي:ــ

وعندما جلبوا له خبز الحياة لم يأكله

وعندما جلبوا له ماء الحياة لم يشربه

ولكن عندما جلبوا له الرداء فإنه لبسه

والزيت فإنه دهن به جسده

(وآنذاك) نظر اليه آنو (باستغراب) ثم ضحك منه وقال:

تعال يا (أدبا) وقل لي لماذا لم تأكل أو تشرب

(إنك تقول) إن آيا أمرك ألاّ تاكل وألاّ تشرب

(ثم التفت آنو الى الحراس وقال لهم عبارته المأثورة)

خذوه وردوه الى أرضه.

وأخيرا يضحك (آنو) من قول (أدبا) بأن سيده إله الحكمة هو الذي نصحه بذلك ويقول:

مَنْ مِنْ آلهة السماء والأرض كثرتهم

أعطى مرة مثل هذه الأوامر؟

ومَنْ منهم يستطيع أن يجعل أمره يفوق أمر آنو؟

وتنتهي القصة بعودة (أدبا) الى الأرض بعد أن ضيع على نفسه وعلى البشرية فرصة ثمينة وهي فرصة الخلود.

وبهذا فإن قصة (أدبا) تذكرنا بشكل ما بقصة آدم وحواء وخروجهما من الجنة[١١] وبما أن هذه القصة كتبت في العصر البابلي فهي قد تأثرت حتما بقصص أخرى أقدم منها كانت قد انتشرت في بلاد سومر مثل اسطورة (أنكي وننخرساج).

ويمكننا القول إن هناك الكثير من الإشارات الواردة التي تتحدث عن الموضوع نفسه ذكر اكثرها في مراجع ومصادر عديدة. حيث يتضح في الأخير وعبر دراستها ما يأتي:

١ــ إن الإنسان خلق من قبل الآلهة.

٢ــ كانت بعض أعضائه جاهزة (كالأيدي)، وصنعت اعضاؤه الأخرى من مادة خلط الطين مع الماء.

٣ــ خلق على شكل الآلهة لكنه غير خالد.

٤ــ مصيره العمل.

٥ــ الجنة (دلمون) وجدت في الأرض وليست في السماء.

٦ــ كانت الجنة (دلمون) قاحلة، غير معروفة.

٧ــ زودت بالمياه العذبة والأشجار.

٨ــ زرعت فيها نباتات محرّمة لا يأكلها أحد.

٩ــ الإله (انكي) لم يخضع للتحريم، واستهان بالعقوبة فأكل الثمار. ليعرف سرها.

١٠ــ إن (ايسمد) خادمه أو رسوله (صاحب الوجهين) يقطف له الثمار المحرمة.

١١ــ أشرف (أنكي) على الموت... بعد مرضه.

١٢ــ خلقت السيدة (نن ــ تي) من ضلعه المريض.

١٣ــ لم يأكل (أدبا) خبز الحياة وماء الحياة.

١٤ــ طرد من السماء (خذوه وردوه الى أرضه).

١٥ــ فقدان الخلود.

المبحث الثاني

ختم الاغراء

يعود للعراقيين القدامى الفضل الكبير في ابتكار فن النقش على الأختام، وذلك منذ منتصف الألف السادس ق.م. وكانت في بداية ظهورها بشكل منبسط وبأشكال إما مربعة أو مستطيلة أو دائرية ، وكانت تصنع في

طبعة مكررة لختم الاغراء منتصف الالف الثالث ق.م

أغلب الأحيان من الحجر، إذ يحفر المشهد بهيئة معكوسة ولكن عندما يطبع على الطين الطري تظهر صورة المشهد بشكل موجب. وكان قطر الأختام المنبسطة الدائرية ٢سم واحيانا ٤,٥×٣,٦سم، ولكن حاول الفنان دائما أن يجد مساحة أكبر لينقش عليها المواضيع وخصوصا حين كان (تركيزه بشكل خاص على الجانب الفكري والروحي وتشخيص الرموز المرتبطة بذلك والمؤثرة في الحياة)[١٥] ولكن ابتكار (السفن الشراعية)، كما يقول د. فوزي رشيد، حينما أصبحت الحاجة الى نقل عدد كبير من المواد التجارية التي كانت تنقل بواسطة الجرار وما أشبه ذلك... أ الختم المنبسط لا يفي بالغرض ويحتاج إلى وقت طويل لختم هذا العدد الهائل من البضائع المنقولة لغرض التجارة. لذلك تطور الختم المنبسط إلى الختم الأسطواني للحاجة المادية له.

والختم الأسطواني، عبارة عن قطعة من الحجر مثقوبة من الوسط طوليا ليسهل حملها أو تعليقها بواسطة خيط أو سلك معدني، ولفظة كلمة ختم في اللغة

السومرية (كسيشيبلا) ومعناها الرسغ لذا نجد أن الدكتور فوزي رشيد يعتقد أنه كان يعلق في الرسغ، بينما نجد الأستاذ طه باقر يعتقد أنه من المحتمل تعليقه في الرقبة[٦]، وتتراوح أطوال الأختام الأسطوانية ما بين إنج واحد إلى ثلاثة إنجات وتختلف أقطارها ما بين بضعة ملليمترات إلى سنتمتر واحد والأختام هي المرآة العاكسة للأفكار السائدة في المجتمع، فهي مرآة العصر، ولكن عيبها الوحيد أنها لا تستعمل لأغراض التاريخ والسبب يعود الى أن الأختام الاسطوانية تتوارث من جيل الى جيل ومن عصر إلى عصر، فقد نعثر على ختم في طبقة آثارية ما، تعود الى عصر آخر بعيد في القدم وتعكس افكاره، ولكن لا تعكس أفكار العصر الذي وجد فيه ذلك الختم. غير أن لها ميزة كونها قد صنع أكثرها من حجر (الازورد) و (الداريريت)، إذ كان في الالف الثالث ق.م. يفضل (اللازورد) لكن بعد ذلك بدأوا يفضلون (الداريريت)، وبذلك أمكن تحديد تاريخ الختم من نوع الحجر المصنوع منه.

غير أن ظهور الأختام كان في أول الأمر لأغراض خاصة، ولا شك أنها قد نشأت في بادئ الأمر في المعابد التي كانت تمثل السلطة الدينية المهيمنة على كل شيء. ثم تطورت أغراض الختم وانتشر بين الناس ليعبر عن شخصية الفرد ورمزه بحيث أن مواضيعه المنقوشة كانت متقاربة وخصوصا من ناحية تمثيلها للأساطير والمعتقدات الدينية.

وكان الختم يستعمل توقيعاً أو للدلالة على الجهة التي توثق العقود والمعاملات المختلفة، أو للتعرف على شيء محدد. فكان يدفن الختم في حجر أساس البناء.

وقد اضيفت الكتابة الى الختم بعد ظهورها للتعريف بصاحب الختم واسمه وهويته... وكان يفرد لها جانب وفي مساحة معينة بحيث لا تؤثر في الرسم المحفور في الختم،

ولا بد من الإشارة الى أن الحفر في الختم كان يتم على ما اعتقد.. ومن خلال دراستي لطبيعة عملية الحفر لكونه عملا يحتاج الى دراية كبيرة ومعرفة أصيلة بأصول فن النحت ــ بأن يعمل (أسكيج) لنحت (رليف) بارزتساوي مساحة الختم نفسه من الطين ثم يجفف، وتعمل بعده طبعة بشريط من الطين الطري بحجمه نفسه وترفع ثم تلف بعد ذلك على شكل اسطوانة وبحجم قطر الحجر المراد النقش عليه، ثم تحدد المساحات والأبعاد ويقوم الفنان بعملية نقل مباشر من (الطبعة الطينية الملفوفة).

وهناك طريقة اخرى، قد يكون الفنان استعملها، وهي أن يضع مادة ملونة فوق (الإسكيج) المجفف (البارز) ثم يمرر الحجر عليه فتنتقل صورة المشهد إليه بواسطة اللون ثم يبدأ الحفر مباشرة. والدليل على ذلك هو أن من يشاهد الأختام ويدرس نماذجها بشكل جيد يندهش من تلك الدقة في عمل نماذج المشاهد وفي نسبها وتوزيعها ووقوفها المتوزان على خطوط الأرضية.. كذلك أبعادها، حتى إننا نجد أن في بعض الأختام قد حفرت الشخصيات في مشهد واحد وكأنها مطبوعة بشكل معكوس ومن خلال مرآة كما هو مبين في صورة الختم أدناه.

والطريف في الأختام أن مشاهدها في الحقب الأولى وفي أزمان متقدمة كانت تعتمد على المعتقدات الدينية والأساطير التي تتحدث عن الالهة، وهذا ناتج عن هيمنة

المعابد وسيطرتها وتأثيرها في المجتمع القديم (كما قلت آنفاً). حتى إن بعض الأفكار التي جرى تمثيلها في الأختام تبدو غامضة جداً، وغير معروفة بالرغم من أننا نستطيع استنباط أفكار معينة من خلال ما تعطيه عناصر الختم من انطباعات، فنرى مثلا في الختم المرسوم أدناه.. وهو ختم دائري منبسط وجد في موقع (تبه ...

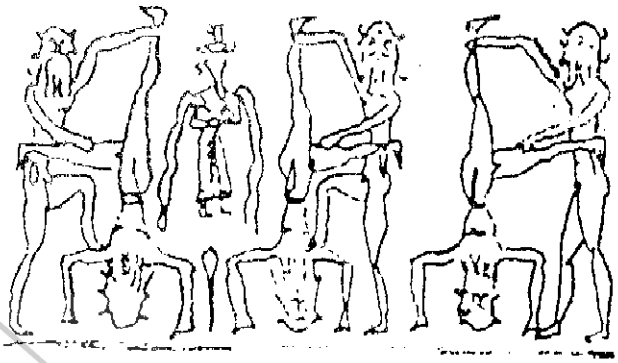

طبعة لختم اسطواني سومري يظهر فيه الإله أنكي

كورا) حوالي ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد ـ بأن المشهد يصور رجلا وامرأة ملتحمين والى جانب المرأة تقف أفعى وكأنها تريد أن تسر لها شيئا ما.... وقد وزعت بينهما أشكال صغيرة مختلفة الأحجام والأشكال قد تعبر عن أثمار أو رموز معينة. ومن هذا نرى أننا حين نريد تحديد فكرة وموضوع الختم أعلاه نواجه صعوبة كبيرة، فهل يمثل بشكل بدائي مفهوم بداية الخليقة؟.. حيث يظهر الرجل الأول والمرأة الأولى والأفعى الأولى أيضا، أو أنه يمثل عملية الخلق من (الضلع) كما جاءت في الأصول الأساسية القديمة لأسطورة أنكي وننخرساج. ونحن من خلال المشهد نجد أن هناك ترابطاً وثيقاً بين الشخصين المحفورين والأفعى، حتى من ناحية التكوين الفني، فهو متوزان دائريا مع شكل الختم نفسه بالإضافة الى هذا التقابل، ووحدة الحركة وتوزيع الفضاءات داخل

طبعة لختم دائري تظهر فيه الأفعى ٤٠٠٠ سنة ق.م

المساحة الدائرية، يدل على خبرة كبيرة وفهم عميق للعمل الفني (الختم)، بحيث نشاهد أيضا أن في الجانب الآخر المقابل لحركة وطول الأفعى، وضعت أشكال لكتل صغيرة لتؤدي غرضين، الأول هوللموازنة والتقابل.. والثاني لتعيين مكان الحدث من خلال ما تمثله هذه الأشكال كما قلت من ثمار أو رموز معينة.

وقد عثر على ختم آخر يعود الى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد يمثل المشهد عينه تقريبا. أي تتكون عناصره من امرأة ورجل وأفعى مع (شجرة)، والفارق بين الختمين.. هو أن الأول منبسط ودائري (قرصي)، بينما الثاني اسطواني الشكل، غير أننا نرى أن الرجل والمرأة في هذا الختم يجلسان متقابلين وليسا متلاحمين وقد وضعت بينهما (شجرة)، واستعيض عن الشجرة في الختم الأول بأشكال رمزية كما شرحت سابقا، وقد وقفت الأفعى وراء المرأة وكأنها تسر لها شيئا كما في الختم الأول.

وإذا كان الختم الأول المنبسط يعبر عن أولى الاشارات الى بداية الخليقة والإنسان ببساطة متناهية، فالختم الأسطواني الثاني يعيد الفكرة بشكل واضح ومكثف وكثير الشبه بقصة (آدم وحواء) كما وردت في

الأديان السماوية.

وهذا يعني أن الختم المرسوم أدناه، هو امتداد للختم الأول من ناحية الموضوع والمشهد، أي إنه يمثل تطوراً مهماً في الشكل والمضمون مع الاحتفاظ بالوحدات المحفورة عينها.

ومن الغريب أننا لا نجد أي أثر واضح ومباشر في المدونات السومرية يشير إلى موضوع هذا المشهد، وهذا ما يدفعنا إلى القول إن الأساطير والمعتقدات الدينية لم تدون كلها، أو إنها لم تصلنا بسبب تلفها وفقدانها.. ولكن الأرجح أن المعابد كانت تحتفظ لنفسها بأسرار معتقداتها ولم تكن تسمح إلا بنشر ما هو ممكن بحيث تكون الصلة الدينية وروابطها قوية مع الناس. وما سمح بنشره مثل اسطورة (أنكي وننخرساج)، (وانكي وننماخ)، (وآدبا) وغيرها، كلها تشير من قريب أحياناً ومن بعيد أحياناً أخرى ــ الى الأسس الأصلية للمعتقدات الدينية، ولهذا فقد تكونت عدة اساطير مختلفة.. ولكن ذات مفهوم يصب في مجرى واحد.

ولا شك أن هذه الاساطير اعتمدت على النقل الشفاهي المتعاقب والمتراكم للمعتقدات الأولى ــ قبل اختراع التدوين ــ وقد طرأ عليها تطورات وتداخلات

ختم الإغراء. ختم أسطواني محفوظ في المتحف البريطاني تحت رقم ٨٩٣٢٦ يرجع الى منتصف الألف الثالث ق.م

كثيرة من قبل الناس، اسهمت في تغيير الكثير من الحوادث مع الاحتفاظ بالفكرة الأصيلة نفسها.. حتى أنها حين دونت أضاف الكتاب لها بعض المشاهد التي تتناسب مع تطور مفاهيم وحياة الناس خارج المعتقدات الرسمية من جهة، ومع ما يتطلبه أيضا اسلوب وطريقة كتابة الأسطورة من جهة أخرى.

ومما ساعد على كتابة الأساطير وتطورها هو أن الحديث والكتابة عند الالهة يكون سهلا، لأنهم والبشر لا يختلفون في الشكل والمظهر. أو حتى في طريقة إظهار العواطف.... فالآلهة تحتاج إلى كل مقومات الحياة المادية كالبشر تماما.. حتى أنها احيانا تمرض أو تشرف على الموت... بالإضافة إلى دخولها في المعارك واشتراكها في الصيد، والآلهة كذلك تتزوج وتنجب، غير أن ما يميزها عن البشر تحكمها في المصائر وسيطرتها على الكون وخلودها، ولهذا فإننا أحيانا لاتستطيع التفرقة عند قراءة الأساطير بين أفعال الآلهة وأفعال البشر، وكذلك التأكد من مشاهد الاختام.. هل هي تمثل مجالس الآلهة وحدهم أم مجالس البشر؟.. أم هي مجالس مشتركة بين الآلهة والبشر؟... والأساطير تخبرنا الكثير من الاجتماعات والمقابلات التي حصلت بين البشر والآلهة، والتي كانت تتم برغبة من الآلهة في توجيه الدعوة لإنسان ما قد يكون بطلا أو ملكا أو حكيما، وقد يكون العكس فالبشر نفسهم يذهبون لمقابلات الآلهة طلباً للمساعدة أو الاستفسار عن شيء ما، ولهذا فأكثر الأختام وخصوصا في المرحلة السومرية والأكدية نجدها زاخرة بمشاهد مختلطة بحيث نجد أحيانا صعوبة في التأكد من الشخصيات المحفورة... الا بعضها التي يمكن

معرفتها من خلال رموزها وعلاماتها بـأنها إله الماء والشمس وآلهة الزرع وغيرها.

والإله (أنكي) يصادفنا كثيرا في مشاهد الأختام، ونستطيع تمييزه بسهولة من خلال جريان ينابيع الماء من جسده، أو من غطاء الرأس، وكذلك من طريقة استقامة جلسته وشكله الأنيق المميز، وقد اعتبر من أهم الالهة التي كانت تعبد في العراق القديم، فهو الإله الواحد القادر على تفجير المياه العذبة وخلق كل شيء، حيث نجد أن المصادر القديمة من تأريخية ودينية أجمعت على أن المياه الأزلية كانت أصل الوجود، كذلك نجد الأديان السماوية[١٧] أكدت ذلك أيضا.

إن (أنكي) قد مثل في الأساطير شخصية أنموذج فريداً من الآلهة، فهو الخالق والقوي والمستبيح للعذارى حتى لو كنّ من الآلهة، وهو المسيطر والطموح الذي لا يقف أمامه شيء حتى المحرمات. والطريف في شخصيته أيضا، (أنه خبير بأشجار الفاكهة).

وأن غضب (ننخرساج) عليه بعد تناوله الثمار المحرمة هو محاولة ذكية لتبرير خلق الالهة من آلامه وخصوصاً (نن ـ تي) إلهة الضلع.. او الإلهة التي تحيي... والتي خلقتها ننخرساج من ضلعه، اي من جزء من جسده من جهة والتأكيد على قوة المرأة وقراراتها الحاسمة ومقدرتها على الخلق من جهة ثانية. وقد لقب أنكي (بسيد الارض) فهو الوحيد بين الالهة الذي يستطيع تفجير المياه العذبة، حتى أن له الفضل الكبير في جعل (دلمون) (الفردوس المفقود) تزهو بالماء والزرع والجمال، ولهذا فقد (وصفه سكان سومر بشتى أوصاف التعظيم والتقديس وعبروا عنه برموز مختلفة صوروها على اختامهم وألواحهم الحجرية والتماثيل وواجهات المعابد)[١٨]

ومن امثلة تصويره ما نراه في الختم أدناه الذي يمثله في مخدعه في الغور (آبسو):

ويظهر الإله (انكي) أحيانا في بعض الأختام مع رسوله ذي الوجهين (أيسمد) الذي كان يرافقه في كل مغامراته واقترن اسمه بالأساطير التي تتحدث عن أنكي.

ومن هذا نرى أن دوره بصفة إله كان كبيراً ومؤثراً وخصوصا في الفكر الديني السومري ومعتقداتهم حتى كان متألقا جداً، وقد اطلق عليه الساميون اسم (ايا) Ea وعظموه كثيراً. وتقترب الأحداث كثيرا في أسطورة أنكي وننخرساج من الأحداث عن قصة الفردوس كما وردت في سفر التكوين والأديان السماوية الأخرى، فهناك تقارب كبير بين (انكي) والرجل (الإنسان الأول)، ولهذا فليس، ولهذا فليس غريبا أن تعني لفظة (أنكي) في اللغة السومرية (الإنسان)، ومن ضلعه خلقت الإلهة (نن ـ تي)، وهو الذي أكل الثمار المحرمة، حتى أنه أكد في الأسطورة رغبته في ذلك.. فهذه الثمار هي الوحيدة التي وجد أنه لم يذقها وهو الخبير بأشجار الفاكهة.. ولهذا اصر على أكلها، بالرغم من معرفته بالعواقب. وهذا يجعل شخصيته تقترب كثيرا جداً من شخصية آدم..

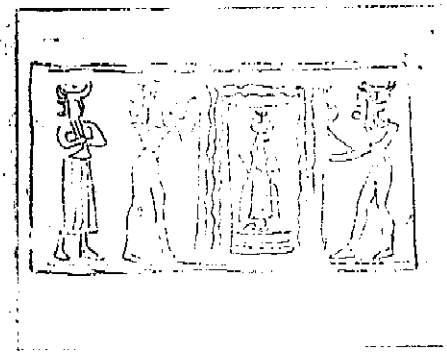

أو نجده واقفا داخل إطار من المياه الجارية وقد وقف (جلجامش) بصفة بواب الإله

وكذلك نراه يجتمع مع الإله (اوتو) إله الشمس، كما في الصورة ادناه

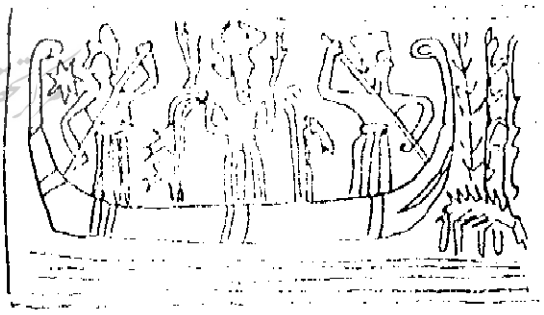

او نجد صورته يقف في وسط قارب يدفعه ملاحان بين الأهوار في جوار أريدو١٩

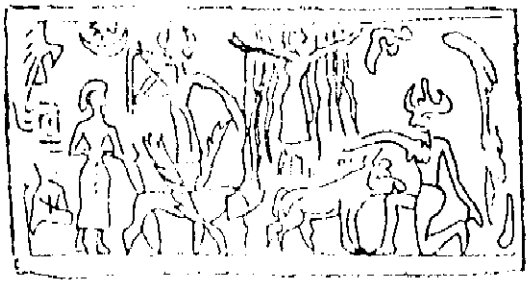

وكذلك يظهر الاله(أنكي)في بعض الاختام وهو يطير في الجو،وقد أحاطت به الالهةمع وحشين أحدهمامجنح

وهذا ما يعزز الاعتقاد بأن الاثنين قد استنبطت واستقيت المعلومات لرسم شخصيتها من مصدر واحد، وهو ما تمثله صورة الرجل في ختم الإغراء. وتوصلنا دراسة شخصية ننخرساج الى حقائق كثيرة عن الحضارة السومرية وما قبلها في وادي الرافدين، فنجد أن (للمرأة فيها مكانا وشأنا، وكانت في الحق المادة الأولى للتاريخ، لأنها نصف النوع البشري الذي يتألف منه التاريخ)[٢٠] ولهذا نجد أن الحضارة السومرية لم تكن حضارة عظيمة، ومنظمة فحسب، بل كانت لها قيمة معنوية من خلال مكانة المرأة ومركزها، فقد كان باستطاعتها التملك والتعاقد والاشتغال بالتجارة وتقلد الوظائف ومناصب الحكم والقضاء واحتراف مهنة الكتبة وخدمة الآلهة في المعابد.. إذ نجد أن الكاهنات يتمتعن بالثروة والجاه، وكان المجتمع يكن لهن الاحترام والتعظيم الممزوج بالتقديس.... كذلك لها الحق في الزواج بأكثر من رجل واحد وفي آن واحد.. حيث دلت أقدم الوثائق السومرية التي تسمى بإصلاحات (اوركاجينا)[٢]، كيف أنه حرم زواج المرأة رجلين في آن واحد.

ومن المآثر التي تدل على مكانة المرأة ودورها في العراق القديم هي مشاركة زوجة الحاكم أو الملك زوجها في الحكم وإدارة شؤون البلاد، وكان لها الحق في إقامة الشعائر الدينية.

وقد لقبت المرأة بألقاب عديدة للتعظيم والتقديس مثل (PaP -PaP) ومعناه إلهة الخصوبة أو المرأة الممتلئة بالخصوبة، والتي عبدت من خلالها فكرة التكاثر.. بصفتها الإلهة الأم (شأنها شأن الطبيعة الولود)[٢١] وعرفت الإلهة الام او إلهة الخصب عند السومريين باسم (انانا)[٢٢].. والتي جمعت بشخصيتها

جميع صفات المرأة فهي إلهة التكاثر، وإلهة الحليب، وإلهة الحب والقسوة...الخ. ولهذا فليس غريبا أن تجد أن لبعض النساء في تلك الحقبة أختامهن الخاصة[٢٢]

من هذا نرى أن المرأة السومرية كانت تتمتع باستقلال ذاتي يقره العرف والقانون وعلى مختلف الشرائح الاجتماعية، وبذلك فالمجتمع السومري بنظرته المتطورة جدا الى المرأة، رفعها الى مصاف الآلهة المقدسة وأعطاها كل الصفات وأدخلها مشاركا فاعلا في كل نواحي الحياة، وهذا أيضا جعلها مميزة وعنصرا مهماً في فنون بلاد وادي الرافدين من جهة وفي الأساطير كأحد الشخصيات الرئيسة من جهة أخرى، حتى أننا نستطيع تتبع آثارها منذ بداية الخليقة (خلق الكون) من خلال ذلك.

ففي اسطورة (أنكي وننخرساج) نجد أن ننخرساج هي الشخصية الثانية فيها، وقد صورت نموذجا قويا مقتدراً وخالقاً، وقد لعبت دورا مهما في الفردوس (دلمون)، فهي التي خلقت فيها نباتات من بعد عملية معقدة وجعلتها ثماراً محرمة، وكذلك كان بيدها مصير حياة الأله (أنكي) وموته، ثم قامت بخلق إلاهات الشفاء من اوجاعه، والتي من بينها إلهة الضلع (نن ـ تي) من ضلعه المريض.. ولا ندري لماذا خلقت ننخرساج الثمار في ارض دلمون ومنعت أكلها؟.... وما هو سر هذه الثمار التي تناولها (أنكي) لكي يعرفه؟.. وهل كان (لننخرساج) اسرارها الخاصة، التي تثير الالهة الأخرى وتجعلهم في شوق لمعرفتها؟..

إن الأسطورة تضع أمامنا أسئلة كثيرة تصعب الإجابة عنها... فقد يكون على الأرجح خلق الثمار (النباتات الثمانية) لجر (أنكي) إلى موقف يستحق عليه اللعنة والموت، بعد أن أدى دوره كاملا في إحياء دلمون وجعلها أرضا جميلة، مشرقة كثيرة المياه.. او لوضعه في موقف ضعيف تجاه (ننخرساج) التي قالت (لأنكي) بفطرسة وعظمة: (لن أنظر إليه بعين الحياة حتى حين وفاته)[٢٣].. وهذا ما يتفق مع المكانة القوية للمرأة في المجتمع السومري في بلاد وادي الرافدين وقوتها وتأكيد شخصيتها إلهة حياة وخصوبة وتكاثر.. حتى أننا نجد عند قراءتنا (للاسطورة) أن (نن ـ تي) إلهة الضلع وهي السيدة التي تحيي ـ وكأنها امتداد لشخصية (ننخرساج) إن لم تكن نفسها، ومن هذا يتضح أيضا ذلك التقارب والتآلف بين شخصيتي كل من (ننخرساج) و (حواء).. السيدة الأولى.. فالمرأة في (ختم الإغراء) توحي بأهميتها من خلال ارتباطها بالأفعى من جهة ومجالستها الإله من جهة أخرى.. لذلك فقد تكون هي الصورة الأصل الأولى (لننخرساج) التي تطورت بفعل الخيال الشعبي إلى تلك الشخصية التي تقدمها أسطورة (أنكي وننخرساج)..

وقد ظهرت الأفعى أكثر الأحيان رمزاً ملازماً للمرأة، فهي إما ترسم محفورة وراء المرأة أو تتحد معها كما في المشاهد المصورة في بعض الأختام أدناه.

ولم يأت ارتباط الأفعى بالمرأة في الختم لمجرد الصدفة كما يقول (أندريه بارو) ـ بل ارتبط بالمعتقدات والأساطير السومرية التي دارت حوادثها حول المراة، بحيث شكلت الأفعى والمرأة وحدة متكاملة وخصوصا حين كان التعبير يتعلق بفكرة (الإغواء). غير أن الافعى في ملحمة (جلجامش) تسرق في غفلة منه نبات تجديد

الحياة وتاكله بعد أن أنهى (جلجامش) رحلة طويلة مضنية في بحثه عن الخلود، وهذا يعني أن دور الأفعى هنا هو منع الإنسان من تحدي الآلهة (بحصوله على الخلود)، بعد أن قررت الآلهة مصيره الواضح وهو الموت الذي يصيب كل البشر.*

أما علاقة الأفعى بالرجل، فهو يمثل الإله الحامي له ـ كما ذكر ذلك أندريه بارو.

وفي ختم الإغراء تظهر فكرة الإغراء بشكل ساطع وقوي.. بالإضافة إلى أن الافعى هنا تعطي قوة مضافة للمرأة تساعدها أكثر على إغواء الرجل (الإله) الجالس أمامها وإغرائه بأكل الثمار.

ويجب أن اذكر بأن (أيسمد) الذي نقرا أنه يلازم سيده الإله (انكي) رسولا وخادما له، يشبه كثيرا الشيطان ودوره في قصة آدم وحواء، فهو الذي يقدم الثمار المحرمة الى سيده بعد ان يصف طبيعة واسم كل على حدة، ولهذا فهو يشارك كما يبدو في عملية إغراء سيده بأكل الثمار المحرمة بالرغم من أنه يعرف عقوبة أكلها التي سوف تصيب سيده.. لكنه لم ينطق بشيء، وكأن صمته كان مقصوداً.. ولهذا فليس غريبا أن يسمى بـ (ذي الوجهين) ـ علما بأن صورته في الاختام تمثله وله وجه أمامي وآخر خلفي، وقد يكون في هذا الشكل وهذه التسمية فيها الكثير من التورية والرمزية وهذا ما تؤكده علاقته بسيده الإله (انكي).. وخاصة حين تراه يقدم له الثمار ويزين له صفاتها من جهة، بالرغم من معرفته بالعواقب الوخيمة التي تصيب سيده من جهة اخرى، وكأنه يحاول ايقاعه في الشرك لتنزل عليه لعنة (ننخرساج)، مما يوحي بأنه كان يقوم بدورين في آن

طبعة لختم أسطواني(سومري)تظهر فيه من اليمين الأفعى وفي اليسار المرأة الأفعى

واحد احدهما طيب والآخر خبيث.. أي بوجهين. هذا مما

وحواء)، أي ظهوره بشخصيتين ايضا، وإغراءه حواء في تناول الثمار من الشجرة المحرمة. ومن هذا نتبين بأن الخادم (ايسمد) يرجع في اصوله الى الافعى في

القصة التي يمثلها مشهد ختم الإغراء.

ولا شك أن النباتات الثمانية المحرمة ـ كما نقرأ عنها في اسطورة (انكي وننخرساج) ـ لا تبدو واضحة المعالم بالرغم من أن (ايسمد) قد سماها حين قطفها

لسيدة الإله (انكي)، فهناك نبات (العسل)، ونبات (الشوك)، وكذلك نبات (الطريق، والشجر، والماء). ومن الصعوبة معرفة أشكال هذه النباتات من اسمائها، غير أنها قد توحي مجتمعة على الارجح بصفات (النخلة)، التي هي الشجرة المحرمة وقد حفرها الفنان في ختم الإغراء عنصراً رئيساً واساس في المشهد. علماً بان النخلة كانت تعني الكثير في حياة الناس في بلاد سومر. فقد أعطت الوثائق المسمارية أهمية كبيرة (للنخلة)، وأعد الاستاذ طه باقر النخلة هي (بحق شجرة العراق منذ اقدم العهود)[٢٥]. وقد ظهرت أول علامة مسمارية تمثل النخيل في كتابات عصر فجر السلالات (٣٠٠٠ ــ ٢٤٠٠ق.م) وهذا مما يؤيد قدم وجودها كما أن شريعة حمورابي أكدت أهميته، حيث خصصت قسماً من مواد أحكامها لزراعة النخيل، فقد فرضت المادة (٥٩) من الشريعة غرامة كبيرة على من قطع (النخلة) تقدر بنصف (مَنْ) من الفضة أي ما يعدل نصف رطل إنكليزي. كما أن زراعة النخيل انتقلت من جزيرة العرب الى جنوب العراق، وأنه غرس منذ أن استوطن البشر هذا القسم في طور العبيد، وعندما* زار الجغرافي اليوناني (أسترابون) مدينة بابل بعد خمسين عاما من زيارة (هيردن) لها، كتب عن النخلة : (كل شيء يأخذ من النخلة، فمنها يعمل الخبز، الشراب، الخل، والعسل (الدبس) والطحين، وكل الأشياء البيتية (من سعفها) أي يحاك من خوصها، أما النواة فيستفيد منها الحدادون لإشعال النار بدل الفحم، وكذلك يعمل من ثمرها الفائض علف الحيوانات، أي إنهم يستخرجون جميع حاجاتهم ما عدا الحبوب، حتى أن أغنية سومرية ورد فيها ذكر (٣٦٠) حاجة تعمل من النخلة)[٢٦] وقد ذكر الأستاذ طه باقر.. أن هناك إشارات عديدة تبين أن الأقوام السامية قدست شجرة النخل.. حتى أن المصريين القدماء عدوها (شجرة الفردوس والحياة).. وقد اتخذت النخلة (الشجرة المقدسة) في فنون العراق القديم[٢٧]، كذلك تشير بعض اسماء الأعلام من زمن سلالة أور الثالثة الى قدسية (النخلة) كان يكنى الشخص بـ (ابن شجرة النخلة الإلهة)[٢٨] ومن المصادر المسمارية نتعرف أيضا على انواع كثيرة من النخيل وتسمى هذه الأنواع بأسماء الأماكن والمواضع، مثل (تمر ــ دلمون) في البحرين، كما يرجح مكانها.. وكذلك (تمر مجان)، التي هي عمان وذكرت المصادر الآشورية نوعا يسمى (نخل الشمال) الذي يشير بلا شك الى نوع لا ينبت في الجنوب، كما أن بعض أجزاء النخلة استعمل في الطبابة البابلية والآشورية لمعالجة الكثير من الأمراض، كالدمامل، والقروح والرضوض والأورام وكذلك أمراض المعدة.

ومن هذا نجد الأهمية الكبيرة للنخلة في بلاد وادي الرافدين، ولهذا فليس غريبا أن تظهر صورتها محفورة في ختم الإغراء، غير أننا نجد أن النخلة قليلة الظهور في الأختام الأسطوانية، لأنها شجرة مقدسة لا تحفر ولا تصور إلا إذا ارتبط ذلك بحدث يمثل معتقداً ما. وظهرت

(النخلة) واضحة في جداريات ماري التي تمثل امتداداً لفكرة مشهد ختم الإغراء ذاتها، إذ تظهر النخلة بشكل ساطع وواضح وبالألوان وذلك في حقبة متقدمة في حدود القرن الثاني عشر قبل الميلاد[٢٦].

المبحث الثالث
السمات الفنية

قد يكون الإنشاء التصويري لختم الإغراء.. مثالا أعلى (للسيمتريا) في الأختام الأسطوانية وقد حفر حتى يطبع بشكل أفريز مستطيل. وهذا المشهد الأسطوري الفخم، يتكون من أربع وحدات وهي: رجل (إله) و (نخلة) و (امرأة) و (أفعى)، وقد يخل وجود المرأة والأفعى في الجانب الأيسر في الختم مع وجود سعفة رابعة أيضا بالسيمتريا ويجعل هذا الجزء ثقيلا نوعا ما.. ولكن تكرار طباعة المشهد على الطين وبشكل متواصل، يجعل حالة التوازن والسيمتريا مقبولة ولا توحي بالخلل.. بالإضافة إلى أني أعتقد، بأن الفنان عد المرأة والأفعى وحدة متكاملة طبقا للمعتقدات السائدة آنذاك، وبهذا فوحدات المشهد تختصر إلى ثلاثة بدلا من أربعة.. بعد دمج الأفعى والمرأة. وهذا الاعتبار يعتمد على حركة الأفعى التي تبدو منسجمة وبإيقاع مع حركة المرأة وجلستها، وكذلك مكانها: فالفنان لم يحفر الأفعى في الختم أمام المرأة أو بجانبها، وإنما وضعها خلفها بحيث نجد أن الرجل لا يستطيع رؤيتها بالإضافة إلى أن النخلة نفسها تحجبها عنه أيضا. وهي توحي بتموجاتها الجسدية، وكأنها جاءت متلصصة لتؤدي دورها بمهارة في عملية الإغراء.

ويجلس الرجل على مقعد مربع الشكل وباستقامة وقد وضع ذراعه اليسرى على فخذه، بينما امتدت ذراعه اليمنى نحو النخلة لتناول الثمر، ولا شك أن حجم الرجل ينسجم مع مساحة الختم (العرض)، وقد ساعدت (قلنسوته) ذات القنين على إعطاء ثقل للختم من اليمين، بحيث تتعادل نوعا ما مع جهة اليسار.. وقد اتبع في حفر الأشخاص أسلوب القواعد المعروفة آنذاك، وهي أن يجعل الوجه جانبياً والصدر أماميا والحوض والأطراف جانبية أيضا للتقليل من البروزات والنتوءات التي قد تتلف نتيجة احتكاكها بعد طباعتها على الطين. وحفرت المرأة أيضا بقياس الرجل ذاته تقريبا ولكن بشكل مواجه له، بحيث امتدت ذراعها اليسرى نحو النخلة، ووضعت ذراعها اليمنى أعلى فخذها، بينما نجد أن قدمها قد لامست جذع النخلة.. وهذا ما يجعلها (أي النخلة) أقرب إليها من الرجل.. مما يؤكد قيامها بعملية الإغراء في أكل الثمار.

والعجيب أن الفنان السومري استطاع بسهولة السيطرة وببراعة تامة على الخطوط ونقاط الارتكاز.. في الختم.. وهذا مما يجعلنا نعتقد أنه يعمل (اسكيجا).. أو نموذجا قبل قيامه بعملية الحفر، فنحن نرى مثلا أن المقاعد في الختم وضعت على استقامة واحدة، كذلك القدمان والذراعان بالرغم من أنه جعل ذراع المرأة اليسرى أقل انخفاضا من ذراع الرجل مما سبب اضافة سعفة أخرى للنخلة من جهتها. فأصبحت النخلة تتكون من سبع سعفات، أربعة منها على اليسار وثلاثة منها

على اليمين.. أما في اسفل جزء النخلة فقد حفر عذقين بشكل متواز يبدآن من خط ارتفاع واحد مع الفخذين لكل من الرجل والمرأة، وينتهيان بشكل مقوس في الأسفل والوسط.

ومن الغريب أن هذا الختم ليس له ما يشبهه من ناحية العناصر المكونة له: الآلهة والبشر والحيوان والنبات التي جمعها الفنان السومري في إنشاء محكم وقوي يعبر عن السمات الفنية بشكل ساطع لفن الأختام.

النتائج ومناقشاتها

أظهرت نتائج البحث أن لختم الإغراء والأساطير السومرية والبابلية التي لها علاقة به ما يأتي:

١ــ أن الختم يمثل قصة (الرجل الأول والسيدة الأولى) الأكثر وضوحا من خلال وحداته التشكيلية الأربعة وهي: الإله، المرأة الأفعى، والنخلة.

٢ــ لم تشر المدونات السومرية إلى موضوع ومشهد الختم، مما يدفعنا إلى القول إن الأساطير والقصص الدينية لم تدون كلها.. أو أنها لم تصلنا بسبب تلفها.

٣ــ إن سبب عدم تدوين بعض القصص كما هي في الأصل بسبب عدها من أسرار المعابد الدينية غير المسموح بنشرها.

٤ــ إن موضوع وحوادث وتفاصيل ختم الإغراء المحورة كما وردت في الأساطير والقصص بعد التدوين قد اعتمد على النقل الشفاهي.. وما حفظته الذاكرة الشعبية. ولهذا فأنا أجد الكثير من التوريات والتحويرات والرموز في الحوادث وتفاصيلها، والتي بلا شك تناسبت مع التطورات في المجتمع من جهة، والفكر الديني من جهة أخرى في بلاد وادي الرافدين.

٥ــ إن صورة ختم الإغراء لا تتعلق قطعا بالمشهد الوارد في سفر التكوين، بالرغم من أنه ينقل جو الفردوس.. فقد يمثل جلسته كغيرها من الجلسات التي كانت تعقد كما تصورها الأختام بين الآلهة والبشر وتحت ظلال الاشجار.. فالمشهد ــ كما ذكرت في الفصل الثاني ــ، بتكوينه وإنشائه وتوزيع شخوصه المتنوعة.. لا يوحي إلا بحدوث شيء ما.. مهم.. وجدير بالتسجيل في الختم.

٦ــ الختم يعد فريدا من نوعه فهو يختصر خلال شكله الفني (قصة الفردوس) بشكل كامل وينقل جوها، كما

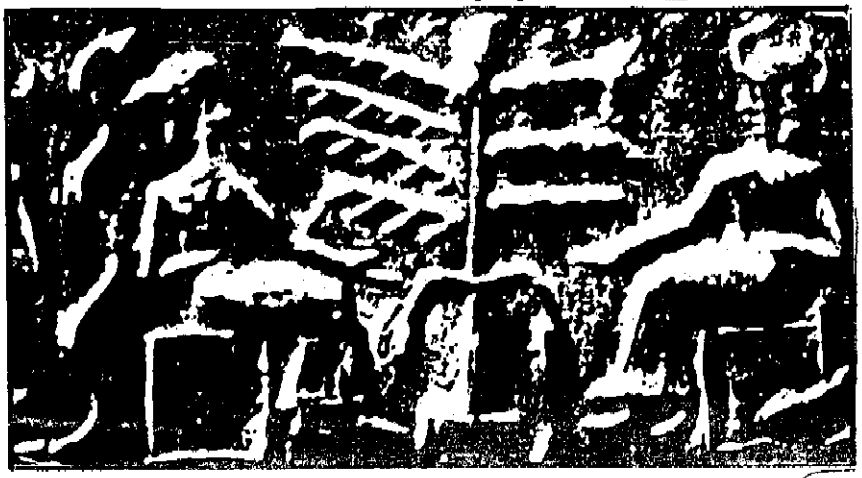

طبعة ختم إسطواني، يعود بتاريخه الى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، وهو الآن في حوزة المتحف البريطاني - أما مكان العثور عليه فغير معروف

وردت في الأساطير أو في سفر التكوين.

٧ـ إن النخلة هي (شجرة الجنة) والأفعى هي (الشيطان) والمرأة هي (حواء) والرجل هو (آدم)، ومع أنا لا نستطيع فرض هذه الأسماء والتشبيهات على المشهد، لكننا من ناحية أخرى لا نجد في اي ختم أو صورة فنية اخرى ما يمكننا جازمين من إعطائها هذه التسميات كما هو الحال في ختم الإغراء..

٨ـ إن شخصيات الأساطير المذكورة و (خصوصا اسطورة انكي وننخرساج) في بعض من وحداتها تقترب كثيرا من علاقتها مع بعضها من مشهد الختم، فانكي مثلا يقابل الرجل الإله في الختم.. والنباتات الثمانية المحرمة التي زرعتها ننخرساج في دلمون تشبه في صفاتها إذا ما جمعت صفات النخلة.. حتى أن (ننخرساج) و (نن ـ تي) هما وجه واحد مقتبس بتحوير عن المرأة في مشهد الختم.. وكذلك (ايسمد ـ ذو الوجهين) مرتبط بعملية إغراء سيده بأكل الثمار بالرغم من معرفته بتحريمها، وهو بهذا يقترب من دور الأفعى، في الختم، التي ترتبط بعملية الإغواء أيضا.

إضافة الى ذلك يمكن أن نعد ختم الإغراء نموذجا رائعا في الحفر والإنشاء والتكوين لتلك المرحلة.. بوضوحه وعدد وحداته وتوزيعها فوق المساحة بعد حفرها ولهذا أجد أن سماته الفنية هي:

١ـ يعد مثالا للتناظر والتوازن.

٢ـ جمع الختم الآلهة والبشر والحيوان والنبات في مشهد واحد.

٣ـ تظهر النخلة في وسط الختم وقد حفرت بشكل واقعي ورمزي بحيث لا نجد لها مثيلا في أي ختم آخر.

٤ـ التحكم في التكوين والتوزيع وبإتقان، بحيث يجعلنا نعتقد بانه عمل (اسكيجا) قبل تنفيذه (حفرة).

٥ـ المحافظة على النسب في حجم المرأة والرجل والأفعى، إلا أن النخلة تطغى بحجمها وموقعها على المشهد لكن الرجل والمرأة إذا ما وقفا سيكون ارتفاعهما أعلى بكثير منها.

٦ـ المرأة أقرب للنخلة من الرجل، وهذا يؤكد أنها هي التي تدعوه لتناول الثمار.

٧ـ الأفعى خلف المرأة بحيث لا يستطيع الرجل مشاهدتها من مكانه، بالإضافة إلى أن النخلة تحجبها عنه أيضا.

٨ـ نظراً لأهمية هذا الختم أرى أنه من الأفضل استبدال تسمية (ختم الإغراء) باسم آخر، وأقترح أن يكون باسم (ختم الفردوس المفقود)

الهوامش

* ـ ختم الإغراء: ختم اسطواني محفوظ في المتحف البريطاني، يرجع تاريخه إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد.

١ـ اندريه بارو: سومر فنونها وحضارتها، ص ٨٥.

٢ـ نفسه، ص ٨٥. ٣ـ نفسه ص ٨٥.

٤ـ سفر التكوين الإصحاح الثاني والثالث.

٥ـ أحمد سوسة. تأريخ حضارة وادي الرافدين ص ٤٤١ ـ ٤٤٣.

٦ـ المصدر نفسه.

٧ـ فاضل عبد الواحد علي، مجلة كلية الآداب، العدد ٢٢، ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

8-G. PETTINATO, DAS ALTORIENT ALISCHE,MENSCHENBILD UND AKKADISCHEN, SCHOPFuNGS MYTHEN. P 82 - 85.

عن اللغة الألمانية ترجمة د. فوزي رشيد.

٩ـ المصدر السابق. ص ٦٩ ـ ٧٣.

* دلمون: سميت الفردوس في الأساطير السومرية بدلمون، ويعتقد أن دلمون تقع في المنطقة المحصورة، بين عانة وهيت على نهر الفرات. وبعض يعتقد أنها تقع في البحرين.

١٠ـ صونيل كريمر، الواح سومر، ص ٢٤٤ ـ ص ٢٤٥.

١١ـ نفسه ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

١٢ـ فاضل عبد الواحد، المصدر السابق، ص ٢٧٠ ـ ص ٢٧٥.

١٣ـ كريمر المصدر السابق. ص ٢٤٧ ـ ٢٤٩.

* أسطورة أدبا: وجدت هذه الأسطورة مدونة على اربعة رقم من الطين المهشم عند نهايتها وقد تسبب في ضياع قدر كبير من محتواها، لكن امكن معرفة إطارها العام من الرقم الأخرى المتبقية، دونت هذه الأسطورة باللغة البابلية، ويعود اقدم رقمها الذي عثر عليه في مصر في (تل العمارنة) الى القرن ١٤ ق.م.

* ـ ختم الإغراء: ختم اسطواني محفوظ في المتحف البريطاني، يرجع

تاريخه إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد.

١ــ اندريه بارو: سومر فنونها وحضارتها، ص ٨٥.

٢ــ نفسه، ص ٨٥. ٣ــ نفسه ص ٨٥.

٤ــ سفر التكوين الإصحاح الثاني والثالث.

٥ــ أحمد سوسة. تأريخ حضارة وادي الرافدين ص ٤٤١ ــ ٤٤٣.

٦ــ المصدر نفسه.

٧ــ فاضل عبد الواحد علي، مجلة كلية الآداب، العدد ٢٢، ص ٢٧٥ ــ ٢٧٦.

8-G. PETTINATO, DAS ALTORIENT ALISCHE ,MENSCHENBILD UND AKKADISCHEN, SCHOPFuNGS MYTHEN. P 82 - 85.

عن اللغة الألمانية ترجمة د. فوزي رشيد.

٩ــ المصدر السابق. ص ٦٩ ــ ٧٣.

* دلمون: سميت الفردوس في الأساطير السومرية بدلمون، ويعتقد أن دلمون تقع في المنطقة المحصورة، بين عانة وهيت على نهر الفرات. وبعض يعتقد أنها تقع في البحرين.

١٠ــ صموئيل كريمر، الواح سومر، ص ٢٤٤ ــ ص ٢٤٥.

١١ــ نفسه ص ٢٤٦ ــ ٢٤٧.

١٢ــ فاضل عبد الواحد، المصدر السابق، ص ٢٧٠ ــ ص ٢٧٥.

١٣ــ كريمر المصدر السابق. ص ٢٤٧ ــ ٢٤٩.

* أسطورة أدبا: وجدت هذه الأسطورة مدونة على اربعة رقم من الطين المهشم عند نهايتها وقد تسبب في ضياع قدر كبير من محتواها، لكن امكن معرفة إطارها العام من الرقم الأخرى المتبقية، دونت هذه الأسطورة باللغة البابلية، ويعود اقدم رقمها الذي عثر عليه في مصر في (تل العمارنة) الى القرن ١٤ ق. م.، أما الرقم الثلاثة الأخرى فقد وجدت في مكتبة آشور بانيبال في مدينة نينوى. وتعني كلمة (أدبا) حسب المعاجم اللغوية المسمارية عدة مرادفات وهي: (الحكيم. العاقل. العارف). المؤلف.

١٤ــ فاضل عبد الواحد، المصدر السابق، ص ٢٧٧ ــ ٢٨٠.

١٥ــ علي مهدي محمد، مجلة آفاق عربية، العدد ١٢، كانون الاول، ١٩٥٨، ص ٩٣.

١٦ــ طه باقر، تاريخ الحضارات، ص ٢٣٨.

١٧ــ ورد في القران الكريم في سورة النحل (١٦: ٤) ما يؤكد أن الماء هو أصل الوجود: ((خلق الانسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين)) وكذلك سورة الانبياء: ((وجعلنا من الماء كل شيء حي)).

١٨ــ أحمد سوسة: تاريخ حضارة وادي الرافدين ص ٤٣٣.

١٩ــ أحمد سوسة. تاريخ حضارة وادي الرافدين ص ٤٣٣ ــ ٤٣٧.

٢٠ــ السيرجون. ١، هامرتن، تاريخ العالم، القاهرة ١٩٤٨، ص ٣٨١.

* أوركاجينا، آخر أمراء لكش.. قام باصلاحاته الشهيرة بحسب رغبة الإله ننخرسو إله دولة لكش.

٢١ــ ثلمسان عقراوي. المرأة دورها ومكانتها. ص ٣٣.

٢٢ــ عقراوي المصدر السابق ص ٣٥.

٢٣ــ ينظر بهذا الخصوص، بعض الامثلة عن الاختام المصدر الاتي:
Schneider N. (Frauensiegel in Ur III Orientalia Vol. 8- 1939 P. 59 - 63.

٢٤ــ ينظر هذا النص من اسطورة (انكي وننخرساج) في الفصل الاول ص ٥.

* نرى في كأس الماء المقدس (لكوديا) أن الأفعى تضمن خصوصية ممتلكاته وتحميها. بارو، المصدر السابق، ص ٢٩١.

٢٥ــ طه باقر، ج١، مجلة سومر، ١٩٥٢، ص٣١.

* طور العبيد: تسمية طور العبيد جاءت نسبة الى تل العبيد القريب من أور، و سكان العبيد يمثلون أول استيطان جنوبي للعراق، وهو أجناس البحر الابيض المتوسط الذين منهم الساميون الذين نزحوا من جزيرة العرب.

26- The Obald fischer in feterman, s Mittheilungen XN - No.7

٢٧ــ طه باقر، المصدر السابق، ص ٣٤.

Pling, Naturai History, XIII, 901, 2 DAB, P 308.

٢٩ــ بارو، المصدر نفسه، ص ٣٣٤.

المصادر والمراجع

١ــ القرآن الكريم.

٢ــ أحمد سوسة، تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الآثارية والمصادر التاريخية، ج١، بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٣.

٣ــ أندريه بارو، سومر فنونها وحضارتها، ترجمة: عيسى سلمان وسليم وطه التكريتي، بغداد ١٩٧٩.

٤ــ ثلمسان عقراوي، المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين، بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٨.

٥ــ ستروفي. ف. ق. موسكو، ١٩٥١ (اللغة الروسية).

٦ــ ستروفي. ف.ق. موسكو، ١٩٥٨ (اللغة الروسية).

٧ــ السير جون (أ)، تاريخ العالم، ترجمة: إدارة الترجمة بوزارة المعارف، القاهرة، ١٩٤٨.

٨ــ صبحي أنور رشيد، تاريخ الفن في العراق القديم: فن الأختام الاسطوانية، ج١، ب ت.

٩ــ صموئيل كريمر، الواح سومر، ترجمة: طه باقر، القاهرة: مؤسسة فرانكلين، ١٩٥٧.

١٠ــ طه باقر: مجلة سومر، ج١، بغداد، ١٩٥٢.